أفاق تطوير اللغة العربية في زمن العولمة

آراء وتحديات

د. نور الهدى مباركية

المداخلة:

إن اللغة هي أداة التفاهم واكتساب المعرفة وإنماء الفكر، وهي الحبل المتين الذي بواسطته تشد الأفراد ويكون من مجموعهم أمة مميزة، قادرة على البقاء والنمو والإبداع، وتهميش لغتنا العربية خاصة في المجالات العلمية كالطب والهندسة وغيرهما يعتبر ضياعا لهويتنا العربية، وانسلاخ الأجيال من مجتمعها العربي لتنتمي لمجتمع آخر.

إن الغرب ينظر إلى العرب على أنهم مسلمون ولا زوال للإسلام إلا بزوال اللغة العربية، وقد استخدم أياد وعقول غربية وعربية لمحاربة اللغة العربية، بدءً بمحاولة طمس الهوية العربية وخلق جيل يتنكر لأصالته ويتأثر بكل ما هو أجنبي.

والتاريخ الطويل للغة العربية يثبت بصورة لا تغفلها العين أنها تعرضت لهجمات وتحديات بأساليب مختلفة حاولت النيل منها، ولكن من التحديات المعاصرة للغة العربية تحديات العولمة التي اخترقت جميع مجالات الحياة من اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية ولغوية، وتفترض تحديات العولمة في المجال اللغوي هيمنة لغة واحدة في العالم هي الانجليزية وفي ذلك تهميش للغات أخرى بما في ذلك اللغة العربية.ولو أن لغة تعرضت لما تعرضت له اللغة العربية لاندثرت منذ زمن بعيد.

وستكون هذه الورقة البحثية بمثابة رسم لحدود مواجهة التشوهات الغربية لتقويض اللغة العربية، في ضوء غياب مشروع رؤية عربية لبناء مجتمع قوامه اللغة العربية، حتى لا تظل هذه الأخيرة تتشبث. كغريق. بالمتغير الثقافي، ويستدعي ذلك الخوض في عناصر أربعة كالآتي:

- اللغة والعولمة بحث في المفاهيم والمرجعيات
- اللغة العربية بين فاعلية الموروث والمتغير الثقافي
- اللغة العربية ومطالب التغيير
- آفاق تطوير اللغة العربية

المبحث الأول: العولمة واللغة بحث في المفاهيم والمرجعيات:

تقتضي طبيعة البحث أرضية مصطلحاتية لابد من الوقوف عليها؛ إذ أن هذه المصطلحات تحدد الإطار العام للإشكالية، ولذلك وجب أن نقوم بالضبط لها، حتى نتجاوز الإطار الإشكالي لكل منها.

أ/ العولمة:

تقتضي الضرورة المعرفية أن نركز على المرجعيات الابستيمية لهذا المصطلح؛ إذ أن مصطلح العولمة "ظهر في التسعينيات من القرن الماضي، أما تاريخ ظهور مفهومها فهو المختلف فيه بين الباحثين"[١] ولم يكن مصطلح العولمة - كغيره - ناشئا من فراغ، إنما كان نتيجة تفاعل بين الأوضاع الحياتية (اقتصادية، اجتماعية، ثقافية تكنولوجية، سياسية،...) وكما هو معلوم أنها ارتبطت بادئ الأمر بالمجال الاقتصادي ثم تعدته إلى المجالات الأخرى، وهي بشتى أنواعها تعتبر غزوا فكريا، عقائديا، اقتصاديا، ثقافيا، أخلاقيا وإعلاميا،...

إن مفهوم العولمة مرتبط بالتحولات التي تعيشها المجتمعات المعاصرة، بما يشبه الثورات الكبرى التي قادت العالم الحديث نحو المجتمع الصناعي، وهي ثورات وتحولات تحدث على مستوى العالم

في لحظات متقاربة ومن خلالها تعمم المفاهيم والأذواق على ذات النطاق لتصبح كونية شاملة.

"وعكس المفهوم نظاما في المجتمع شمل الاقتصاد والثقافة والسياسة مغاير تماما للنظام القديم؛ إذ أن مفهوم التقادم تبدل، فالتفسير هنا بات شبه يومي، بل لقد رافقت نظرية العولمة طغيان المفهوم الاقتصادي، بحيث أصبحت تعبر عن نشاط رأس المال ومقدار تداخله في العالم وتحول العالم إلى سوق استهلاكية كبرى لمنتجات الشركات الصناعية الأكبر حجما"٢ وفي ظل ذلك بدا البعد الثقافي مهملا من جهة التأثير والتبادل، أما من حيث التلقي فإنه يمكننا أن نقول أنه " انتصار الشمال المتفوق على الجنوب المتخلف"٣ ولأن الثقافة العالمية ليست سوى الثقافة الغربية كان لزاما أن تعمم وتصير ذوقا واحدا يفرض على كل البشر دون اعتبار لأية اختلافات أو تمايزات حضارية.

إن البعض يرى أن العولمة ليست مبتكرة أو وليدة العصر الحاضر، إنما هي قديمة جدا ولها جذور راسخة في التاريخ وهي عملية جارية على نحو واع أو غير واع منذ بداية تاريخ الإنسان على الأرض "ويقدم لنا تاريخ البشرية أعدادا كبيرة من نماذج العولمة منها: استقرار السومريين جنوبي بلاد الرافدين القادمين من أواسط أو شرق آسيا والسبي البابلي واحتلال الآشوريين لمصر، وتوسيع الإمبراطورية الرومانية، وحلم الإسكندرية الكبير بتأسيس إمبراطورية "عالمية" تضم قارات العالم القديم في كينونة واحدة، وطريق التوابل بين أوروبا وآسيا"٤

إن المشروع العولمي قد ركز أيما تركيز على الجانب الثقافي ليؤسس بعد ذلك لمشروع عولمة الثقافات، ويبشر بذلك بميلاد جديد وهو: العولمة الثقافية، هذه الأخيرة المنبثقة عن العولمة، فإن اختلفت عنها في الأداة فهي تتفق معها في المقصد؛ إذ غدا همها الأول تعزيز التفاعل بين الثقافات المتعددة بزعامة أنموذج واحد وهي العولمة الأمريكية ذات الصورة المقدسة عند الكل.

إن العولمة الثقافية ليست بريئة كما يعتقد البعض، بل إنها في ظاهرها ترك الحرية المطلقة للثقافات الأخرى لتعبر عن نفسها وتنتقل من نطاقها الضيق إلى نطاقها الأرحب وفق فرص متكافئة، حيث تتفاعل الثقافات فيما بينها في ظل ثورة الاتصالات التي تسهل من نقل الأنماط الحضارية والثقافية من منطقة إلى أخرى، غير أن الواقع عكس ذلك ونقيضه تماما، فتدفق المعلومات له مسار واحد من الغرب إلى الشرق، كما أنه لا يوجد تكافؤ نتيجة التفوق الإعلامي، ناهيك عن تحصن الغرب من التأثيرات الثقافية العربية والإسلامية من خلال تشويه صورة الإسلام والمسلمين في نظر المواطن الغربي إنها "محاولة مجتمع تعميم نموذجه الثقافي على المجتمعات الأخرى من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية مختلفة وتقنيات متعددة"٥ .

علينا القول أن العولمة الثقافية هي أخطر وجوه العولمة على الإطلاق، فقد أدى تغلغلها على التأثير في المبادئ والقيم التقليدية، بل تجاوزها إلى العادات والتقاليد وأنماط العيش، والأخطر من ذلك عولمة اللسان مما أدى إلى طمس الهوية الثقافية - جزئيا - للأمة، وهي مشكلة وقع إزاءها المفكرون بين ثنائيتي " المحافظة على الإنية ومواكبة الكونية" .

وبما أن اللغة هي وعاء الفكر، فإن الترابط بين اللغة والعولمة وثيق، ولذلك تدفعنا الضرورة الملحة لطرح التساؤل: ما المقصود باللغة؟

ب/ اللغة:

إن اللغة هي أداة التفاهم واكتساب المعرفة وإنماء الفكر وهي الحبل المتين الذي بواسطته تشد الأفراد، ويكون من مجموعهم أمة قادرة على البقاء والنمو والإبداع، كما أنها الأداة التي تربط الإنسان بغيره من الأفراد وتربطه بالمجتمع، وقد جاء في لسان العرب " اللغة: اللَسن... وأصلها لُغوة على وزن فُعلة من لغا إذا تكلم ولغون إذا تكلمت، والجمع لغات ولُغون، وبالنسبة لُغوي"٦.

ولقد عرفها القدماء بأنها "أصوات بها كل قوم عن أغراضهم"٧كما قال ابن جني ولم تستطع التعريفات الحديثة للغة أن تتجاوز هذا التعريف الموضوعي. وعرفها ابن خلدون بقوله "اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني فلابد أن تعبر ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم"٨ .

ما المحدثون فقد عرفوا اللغة بأنها "نظام رمزي صوتي ذو مضامين محددة تتفق عليه جماعة معينة، ويستخدمه أفرادها في التفكير والتعبير والاتصال فيما

بينهم"٩ أما البعض فيرى أن مفهوم اللغة أوسع وأشمل من أن يعني اللغة المكتوبة فحسب، بل هي تشتمل على المكتوبة أيضا والإشارات والإيماءات والتعبيرات الوجهية التي تصاحب سلوك الكلام عادة.

وقد أكد العالم اللغوي السويسري فردينا دي سوسير أن "اللغة والكلام والصوت والمعنى جزء من الكلام وعرفها بأنها نظام من الرموز المختلفة تشير إلى أفكار مختلفة"١٠ فاللغة نظام صوتي يتخذه الفرد عادة كوسيلة للتعبير عن أغراضه ولتحقيق الاتصال بالآخرين.

وهناك العقلانيون وأبرزهم تشومسكي الذي عرف اللغة على أنها "نظام عقلي فريد تستمد حقيقتها من أنها أداة التعبير والتفكير الإنساني"١١ ويذهب تشومسكي بهذا التعريف إلى أن اللغة هي طاقة إنسانية وقوة إنتاجية تركيبية فائقة، وبذلك تكون الفكرة الأساسية التي توجه منهج تشومسكي هي السمة الإنتاجية في اللغة، والتي بمقتضاها يستطيع المتكلم أن يؤلف ويفهم جملا عديدة غير متناهية لم يسبق له أن سمعها من قبل، وهي السمة التي تميز الإنسان عن الحيوان.

أما اللغة العربية فيضاعف لها الفضل كونها لغة الإسلام ووحيه المعجز والتي ضمن لها القرآن الخلود الذي أراده الله عز وجل لهذا القرآن "فاللغة العربية لغة إنسانية؛ لأنها اللغة التي لفظت تراث الإنسان شعرا ونثرا وعلما وثقافة، وحاضرا وتاريخا"١٢.

وللغة عدة خصائص يمكن أن نبرزها على النحو الآتي:

١/ اللغة نظام:حيث تخضع كل لنظام معين في ترتيب كلماتها ويتم الالتزام بهذا الترتيب في تكوين الجمل والعبارات وإذا اختل هذا النظام لن يحقق الكلام الغرض منه.

٢/ الخاصية الصوتية للغة: تشير هذه الخاصية إلى أن الطبيعة الصوتية للغة هي الأساس، في حين يجيء الشكل المكتوب لها في المرتبة الثانية من حيث الوجود، وتعد الأصوات مادة اللغة الإنسانية ولا مدلول لهذه الأصوات ما لم تنظم في وحدات أو كلمات.

٣/ اللغة بوصفها مكتسبة: لا تولد اللغة مع الإنسان، إنما الذي يولد معه هو الاستعداد لتعلمها فالطفل يولد من دون أي معرفة باللغة، لكن توجد لديه الملكة والاستعداد لاكتسابها بشكل متدرج ومن هنا يأتي دور الوسط الاجتماعي الذي ينمو فيه الطفل، ودور التربية المنظمة في اكتساب اللغة.

٤/اللغة عرفية: العلاقة بين اللفظ وما يشير إليه علاقة عرفية لا طبيعية، فلقد حدث في وقت ما أن اختير لفظ ما في جماعة معينة ليشير إلى شيء أو فكرة، وقد كان من الممكن أن تحتار الجماعة لفظا آخر لنفس الشيء أو الفكرة.

٥/ اللغة معبرة: فهي ظاهرة اجتماعية والظواهر الاجتماعية ليست ثابتة، بل تتعرض للتغيير باستمرار، والتغيير تحكمه في الغالب قوانين تكاد تكون ثابتة.

٦/ اللغة رموز: نقصد بالرمز الإشارة، أي أن الرمز بمعنى التعبير عن شيء له دلالة محددة يتفق الناس عليها في مختلف اللغات وعلى مدى العصور.

٧/ اللغة اتصال: قد بلغت أهمية العلاقة بين المحتوى ووسيلة الاتصال الدرجة التي دفعت بعض المفكرين إلى القول بأن "الوسيلة هي الرسالة" للدلالة على أهمية الوسيلة (اللغة) في نقل المحتوى (الرسالة)١٣ .

انطلاقا مما سبق يمكننا القول أن اللغة ظاهرة بشرية وجدت مع وجود الإنسان وهي من مكونات الهوية الثقافية، فهي رمز انتماء المرء إلى قومه وثقافته.

المبحث الثاني: اللغة العربية بين فاعلية الموروث والمتغير الثقافي:

إن نظرة متفحصة لقراءة التراث اللغوي، تجعلنا نقر يقينا بنتيجة مفادها أن نماذج هذه القراءة قد اختلفت وتباينت، ولا يخلو هذا الاختلاف والتباين من الأسباب والدوافع، فأنصار الأصالة - وباسم المحافظة على الموروث - ألفيناهم يدعون إلى عدم الاكتفاء بغلق الأبواب، بل يطلبون سد أصغر الثغرات والفجوات توجسا وخيفة من دخول بصيص نور أو لفحة هواء، أما أنصار الحداثة - وباسم التفتح والعالمية - فإنهم يدعون إلى عدم الاكتفاء بفتح النوافذ والأبواب على مصراعيها، بل إنهم يدعون جهارا إلى نزع السقوف أيضا.

بيد أنه غدا من المقرر أن الأصالة لا يمكن أن تعني الاكتفاء بنفسها والانغلاق على ذاتها دونما سعي من أجل التطور، وكما غدا يقينا أن الحداثة لا تعني الانسلاخ والتنصل من التراث وهدم ما

بناه السابقون.

هذا حال اللغة العربية التي تأرجحت بين كفتين: كفة تنادي بفاعلية الموروث وضرورة المحافظة عليه، وكفة أخرى نادت بأعلى صوتها بمواكبة المتغير الثقافي.

وبما أن اللغة هي وعاء الفكر والمحددة لملامحه الخاصة والعامة، والمؤثرة في حاضره ومستقبله فإن اللغة العربية لغة نامية وأداة طبيعية متجددة لم تقف يوما من الأيام ولم تصرخ بوجه مبدعيها: قفوا "وإذا عدنا إلى ماضي اللغة العربية نجده غنيا ومنتجا، وكان له الحظوة في كل إبداع، وهذا لا يعني العيش في كنف كان أبي بل العودة إليه لاستكناه تاريخنا عله يكون المهتدى للتفعيل في عصرنا كما فعل أولونا، كما أن التاريخ عامة كان سجلا لجملة المعارف التي يقصد بها الكشف عن الجيد منها وتحسينه، وعن الرديء لاجتنابه، إن ماضي اللغة كان يرتكز على عبقرية اللغة العربية في لسانها وتطبيقاتها التي استوعبت أدق العلوم التقنية والدليل ما أنتجه ابن الهيثم وابن حيان وابن سينا والرازي..."١٤ وهذه شهادة دامغة حول ذلك العصر الذي يشهد به الأعداء قبل الخلان، فها هي العالمة زيغريد هونكة في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" تقر بعظمة العلوم العربية وتأثيرها على الغرب، ومن هنا فإن فاعلية الموروث بالنسبة للغة العربية سجل حافل بنجاحها في استيعاب الدين والثقافة والحضارة والحكم في آن واحد، وليس حسبنا أن ندافع على هذا اللسان الفصيح المبين بل علينا حماية العالم من خسارة فادحة إذا ما تشبثت هذه اللغة العريقة ببراثن الحداثة، وتماهت فيها مماهاة كلية فتكون بذلك مأساة غريق يستمسك بغريق، وفي هذا الصدد يقول العقاد في كتابه "اللغة الشاعرة": "ومن واجب القارئ العربي - إلى جانب غيرته على لفظه - أن يذكر أنه لا يطالب بحماية لسانه ولا مزيد على ذلك ولكنه مطالب بحماية العالم من خسارة فادحة تصيبه بما يصيب هذه الأداة من أدوات النطق الإنساني، بعد أن يفلت مبلغها الرفيع من التطور والكمال"١٥ ، وكل ما سبق ليس مدعاة للعيش في كنف أبي - على حد تعبير أحدهم - لأن الماضي لا يعني الاكتفاء بالنفس والانغلاق على الذات، بل يجب أن نتحرر من الماضي الثابت الداعي للتقوقع، لأن الماضي يجب أن يكون حافزا للتفوق لا للتقوقع، إذ "الماضي تعزيز الانتماء الذي ينفتح على الحضارات في جو من العقلنة، الماضي عملية تقبل التغيير دون اغتراب، الماضي يقبل التفاعل والأصالة والحداثة"١٦ والحفاظ على الهوية لا يعني الانطواء والجمود، ومنه يقتضي من الحاضر سيرورة وصيرورة لا توقف التاريخ عند لحظة معينة، ومن هذا المنطلق نقر يقينا أن إرثنا اللغوي غني في مجمله، لكن الكشف عنه بدراسات حديثة ضرورة تتطلبها معطيات العصر.

إن السؤال الذي يملك شرعية الطرح ها هنا هو: هل هناك إمكانية توظيف اللغة العربية المعاصرة في ظل التحديات العالمية التي تفرضها اللغات الأجنبية وفي ظل تلك القوانين اللغوية الصارمة التي ترفض التغيير مع تسليط عصا فقهاء اللغة على كل من يتجرأ على الخروج عن التقليدية؟

إننا أمام مواجهة صعبة إذا ما حاولنا الإجابة عن هذا السؤال، فإن نحن قلنا بإمكانية توظيف اللغة المعاصرة في ظل مواكبة التغير الثقافي، فسينشأ جيل يتنكر لأصالته، يتجرد من هويته ويتنكر للغته، فتبهره الحضارة الغربية وتفتنه وتنسيه مجده التليد وحضارته الإنسانية الشامخة، وإن نحن أشهرنا العصا الغليظة بوجه من يتجرأ على الخروج عن التقليدية فسينشأ حاضر متدهور للغة العربية، وخير دليل على ذلك ما قاله الدكتور صالح بلعيد: "إن الحديث عن حاضر اللغة العربية يدمي القلب من منظور تشخيص واقع اللغة العربية التي أضحت عالة اقتصادية على اللغات التي لا ماضي لها ولا تاريخ، وهي لغات حديثة وهجينة تكونت في عصر السرعة ونالت المكانة العلمية التي أهلتها لذلك بفضل الفكر العلمي والرياضي الذي سيطر على نخبها وعلى مفكريها وبالتطبيقات التقنية التي مست منظوماتها الفكرية، ولنعلم أن الصناعة الأمريكية ارتكزت على دعائم الفكر العلمي والثقافي العصري، حتى كانت لها الريادة، والنهضة الأوروبية قامت على أساس ثقافي أولا ثم لحقت عوامل أخرى، كما أن التطور الآسيوي اعتمد مبدأ الأخذ من العلوم (النقل) والخروج بنظرية خاصة، وكان في كل اجتهاد للعصرنة دعوة للإصلاح التربوي الذي يرتبط بالإصلاح اللغوي الذي تنشده المعرفة العلمية في وقتنا الحالي"١٧ ومعنى ذلك أن التمسك بالأصالة لا يعني الانغلاق والانقطاع عن العالم، بل يعني المعرفة العلمية التي هي إدراك الأشياء وتصورها كمّا ونوعا، واستخلاص موجباتها واستئصال نقائصها حيث التحديث الذي هو خوض معركة العصر بكل تجلياتها المعرفية فكرا وإنتاجا.

إن الموروث اللغوي ثري جدا ويزداد ثراء حينما يضيف إلى معاجمه المصطلحات المتعلقة بالتنوع الحضاري والتطور الثقافي، حتى يتسنى له التعبير عن هذا الطوفان الحضاري من المخترعات الجديدة، وغنى اللغة وكثرة تعابيرها لا يمنعها من مواكبة المصطلحات العلمية الوافدة الجديدة وصياغة مصطلحات عربية تعبر عنها حق التعبير.

المبحث الثالث: اللغة العربية ومطالب التغيير

لسنا بحاجة إلى أن نبين أهمية اللغة في بناء هيكل المجتمعات، والمهمة الإستراتيجية التي تضطلع بها لاستيعاب فكر ومعارف منشئها المجتمعي ونقلهما إلى غيره من المجتمعات الأخرى، وكما أسهمت اللغة العربية بشكل كبير في نقل حضاراتها بفعل دافعية القرآن الكريم الذي نزل بلسانها وساهم في انتشارها خارج حدود أضلاعها المحلية، إلا أنها أصبحت في عصرنا الحالي تعيش في واقع هجين لا يجدي نفيه كما يستحيل التطابق معه تماما.

يفرض هذا التصور في ضوء العلاقة غير المتكافئة في ثقافة العولمة اللسانية بين الخطاب اللساني العربي ونظيره الانجليزي إدراج حرقة الأسئلة في الأنساق المقدسة المغلقة من طرق الثقافتين، فالأول - الخطاب اللساني العربي - يلازم ماضيه ويقدسه ويرفض لبوس الحداثة في إقصاء تام للبعد الآني، والآخر اللساني الانجليزي يشكل شبكة أفخاخ لمقولة إقصاء منهجي منظم من لدنه يمس كل مختلف عنه.

وعليه وأمام هذه التغيرات الطارئة تجد اللغة العربية نفسها ملزمة بإنتاج خطاب لغوي فاعلي التأثير لتواكب جديد عصرها من جهة، وتحافظ على ناصية تراثها من جهة أخرى وذلك بـ:

"أ. إعادة الموروث القديم المكون الرئيسي للثقافة الوطنية، بحيث تزال معوقاته وتستقر عوامل تقدمه وكلا العنصرين موجود في الثقافة.

ب - كسر حدود الانبهار بالغرب ومقاومة قوة جذبه، وذلك برده إلى حدوده الطبيعية والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية.

ج - التخفيف من غلواء العولمة عن طريق قدرة الأنا على الإبداع بالتفاعل مع ماضيها وحاضرها بين ثقافتها وثقافات العصر"١٨ .

وهكذا فلب الخطاب العربي يجب أن يحتوي على بذرة نهضوية تعيد الاعتبار من جهة لتراثه العربي الإسلامي الذي جمع بلبلة ألسنة القبائل المختلفة في لغة قومية واحدة، ومن جهة ثانية تتخذه منطلقا - دون أن يكون نسقا مقدسا - لمواجهة الآخر، هذه الأخيرة يجب أن يكون شرطها النوعي مواجهة من منطلق حوار لا صراع.

وبوقفة متدبرة ندرك ونحن في خضم تقديم مسودة عملية أن المشروع النهضوي للتغيير يجب أن يتبع وسائل ناجعة أهمها:

- استخدام اللغة العربية الفصيحة في الإعلام بدل العامية.
- التقليل من حدة انتشار الفكر الفلكلوري أو التراثي الذي تعمد بعض الجهات بحسن نية أو بسوئها إلى تبني العامية وجعلها مظهرا من مظاهر الاعتزاز بالتاريخ.
- فرض اللغة العربية لغة رسمية في التعليم والبحث العلمي والاجتماعات والملتقيات والندوات الفكرية والمحافل الرسمية.
- إبراز فاعلية المجامع اللغوية وتكثيف المهام المنوطة بها.
- المحافظة على اللغة العربية كلغة رسمية في المنزل والمدرسة والمسجد وحتى الشارع.

المبحث الرابع: آفاق تطوير اللغة العربية (أراء وتحديات)

إن اللغة العربية لا يمكن تحديد أزمتها بعامل واحد يمكن ردها إليه، صحيح أن النظام التعليمي يشكل أحد العوامل المهمة جدا في إحداث هذه الأزمة، لكنه ليس بالعامل الواحد وإنما هناك عوامل أخرى لا تقل عن نظام التعليم أهمية، إن لم تتفوق عليه، ويأتي في مقدمة هذه العوامل: المجتمع وأسلوبه في التعامل مع اللغة العربية، وبالتالي لابد أن يكون العلاج مجتمعيا، لأنها أكبر من أن يتولى أمرها شخص معين أو مؤسسة أو نظام تعليمي معين، ولن يتحقق هذا إلا إذا وضعنا في الاعتبار أن أزمة اللغة العربية هي بالدرجة الأولى قضية تتعلق بكيان الأمة العربية الإسلامية ووحدتها. ومن هنا فالسؤال الذي يمتلك مشروعية الطرح: هل هناك إجراءات ينبغي تتبعها من أجل تطور اللغة العربية ومسايرة الاكتشافات العلمية والتكنولوجية؟ ولعل في مقدمة هذه الخطوات الضرورية ما يلي:

"أ. القرار السياسي: يمثل القرار السياسي سلطة لها انعكاساتها الإيجابية على مستوى التطبيق، حيث إنه يكون عاملا أساسيا في إلزام الأنا والآخر بضرورة العمل على الممارسة التطبيقية، وتنفيذ

هذه القرارات ... ففي ظل غياب سياسة وطنية وقومية تتخذ من اللغة العربية أداة للبناء نظرا لأن الحاكم العربي المنكمش حول نفسه، لم يستطع التخلص من أسرى هذه القيود المفروضة عليه، وكأن الأمر أصبح تقليدا ليس بمقدور الحاكم العربي أن يفرض منظومته اللغوية...إن هذا التصور الخاطئ نابع في حالات كثيرة من وهم، واعتقاد فاسد في عدم قدرة اللغة العربية على الاستجابة إلى هذه المصطلحات، وغاب عن أذهان هؤلاء أن الإشكال ليس حاصلا من جهة اللغة بقدر ما هو ضعف في أهلها؛ لأنهم عوض البحث عن آليات جديدة، ومصطلحات تواكب التطور التكنولوجي، يقف الإنسان العربي منكمشا حول ذاته، يقدم أحكاما قيمية في غاية الخطورة دون أن يدرك نتائجها"١٩ .

ب ـ تفعيل المجامع اللغوية: وذلك لوضع الألفاظ الجديدة والمسميات الغريبة وتأليف الكتب العلمية.

ج ـ تفعيل الصالونات الأدبية التي تعزز ظهور الأدباء والنقاد وتقدم لهم مساحة من الاهتمام تشعرهم بثقتهم بأنفسهم، وتساعد النشء على مجاراتهم والتعلم منهم، مع إفساح المجال للاختلافات الفكرية.

د ـ تنمية الانتماء للغة العربية الفصيحة ومحاربة دخائل اللغة وطغيان اللغات الأخرى في الحديث والكتابة.

هـ ـ تعزيز دور القاعدة النورانية في تعليم القرآن واللغة للأطفال الصغار، فهي بداية طيبة لحفظ الأطفال الحروف بأصواتها وأشكالها ومخارجها وصفاتها.

و ـ إنتاج أفلام رسوم متحركة وبرامج تحيي اللغة العربية الفصيحة وتساعد الأطفال على اكتسابها بصورتها السليمة، بعيدا عن العامية التي انتشرت في فضائيات الأطفال.

ز ـ تعزيز المكتبات بالكتب الإلكترونية المسموعة والمقروءة إلى جانب المطبوعة ورقيا، لمواكبة الصبغة العصرية التي يحياها أبناء هذا العصر التكنولوجي، فالتقنيات الحديثة لا تحكم بالإعدام على سابقتها وإنما تتعاون فيما بينها وتدعم بعضها بعضا.

ح ـ الاهتمام بأدب الأطفال الذي ينمي الملكة اللغوية لديهم من شعر وقصص، وتحفيز أدباء الأطفال على النشر.

ط ـ اعتماد اللغة العربية الفصحى لغة الحوار في كل الأعمال المسرحية المدرسية.

ي ـ العمل على زيادة حصص اللغة العربية خلال الأسبوع الدراسي .

ك ـ اعتبار إتقان اللغة العربية معيارا مهما في اختيار وتعيين المعلمين الجدد في جميع التخصصات، والتأكد من ذلك من خلال اختبارات مزاولة المهنة، واختبارات التوظيف والمقابلات.

ل ـ توظيف تكنولوجيا التعليم في عرض موضوعات اللغة العربية وإضفاء نوع من التشويق على موضوعاتها، وإعداد حقائب المعلمين الإلكترونية التي تشمل قراءات نصوص ومسرحيات منهجية وأوزان عروضية وغير ذلك مما تنتجه لجان المجمع.

م ـ والأهم من ذلك كله طرح مشروع مجتمع عربي أصيل، يتوفر على خصوصيات الإنسان العربي الجاد والمثابر في خدمة اللغة العربية.

وعلينا أن لا ننسى أن أساس كل نهضة قومية يجب أن يكون في المدرسة الصغيرة الابتدائية، حيث ينبغي تعليم لغة البلاد وتاريخها، وحسبنا أن نلبس لغتنا العربية حلة من نسج أيادينا بالتفكير والممارسة وحتى الترجمة.

لقد باتت اللغة العربية تحتل موقعا متميزا على خريطة المعرفة الإنسانية لعلاقتها الوطيدة مع مختلف فروع هذه المعرفة، لأنها وعاء العلوم والمعرفة الإنسانية وركيزة العلوم الطبيعية ومحور المعلومات والآيات الكريمة الأمر الذي يجعلنا نعمل مخلصين جادين على الارتقاء بها والتغلب على الأزمة الحادة التي تعاني منها في المجتمعات العربية والإسلامية، تلك الأزمة التي دفعت الشاعر: حافظ إبراهيم ليصيح بلسان حال اللغة العربية هذه الصيحة لا تزال قائمة بنصها ولفظها، حيث تقول اللغة العربية عن نفسها:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

ويبقى علينا القول أنه يجب علينا أن نفتح الأبواب للرياح القادمة من هنا وهناك شرط أن تكون جالبة للمنفعة والخير، لا ريح صرصر عاتية تدمر ما صنعناه منذ آلاف السنين.

الهوامش:

١/ سهيل حسين الفتلاوي: العولمة وأثارها في الوطن العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، ٢٠٠٩، ط ١، ص.٢٤

٢/بركات محمد داود: ظاهرة العولمة بين رفض العرب والإسلاميين والترويج الغربي، دار الكتب العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، د ط، ص ص ٦٢،٦٣.

٣/ المرجع نفسه، ص ٦٣.

٤/ محمد مصلح الزعبي: العولمة الثقافية وأثرها على الوطن العربي، مقالة نشرت سنة ٢٠١٠.

٥/المرجع نفسه.

٦/ ابن منظور:لسان العرب، ص ٤٠٤٩،٤٠٥٠.

٧/ سعدون محمد الساموك وهدى علي جواد الشمري: مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها، دار وائل للنشر، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٢٣.

٨/ المرجع نفسه، ص ن.

٩/ المرجع نفسه، ص ٢٤.

١٠/ صالح أحمد محمد: أهمية اللغات في العالم، مقال موت المؤلف، مجلة الحوار المتمدن، العدد ١٥٦٣.

١١/ المرجع نفسه.

١٢/ حسني عبد الجليل يوسف: اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة ـ خصائصها ودورها الحضاري وانتصارها. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١ ، ٢٠٠٨، ص ٢٧.

١٣/وجيه المرسي أبو لبن: خصائص اللغة العربية، الموقع الإلكتروني: kenamonline___com ساعة الدخول:٢٦:٢٠.

١٤/ صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، دار هومة للطباعة والنشر، د ط، ٢٠٠٣، ص ١٧.

١٥/ حسني عبد الجليل: اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة ـ خصائصها ودورها الحضاري وانتصارها ـ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٢٧.

١٦/ صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، ص ٠٤.

١٧/ المرجع نفسه: ص ١٦.

١٨/ سهيل حسين الفتلاوي: العولمة وأثارها في الوطن العربي، ص ١٢١.

١٩/ دياب قديد: آفاق تطوير اللغة العربية الهوية والراهن العربي، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي/ الإمارات، مجلد ١٢، ط ١، ٢٠١٥، ص ٥٦٣/ ٥٦٤.